

قراءة في مضمون وثيقة من الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي (لاكورناف - La Courneuve) بباريس للسيد "أنتونان غوغير-Antonin Goguyer"
12 سبتمبر 1899 م
Reading in the contents of document from the French Diplomatic Archives (La Courneuve) in Paris of Mr. Antonin Goguyer.
September 12, 1899 AD

الباحث: بن عبد المومن محمد *
جامعة وهران 1 - أحمد بن بلة - الجزائر
hmoumene31@yahoo.fr
أد. مقنونيف شعيب - جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان
meg.chaib@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/05/01 تاريخ المراجعة: 2021/05/18 تاريخ القبول: 2021/06/04

الملخص:

يعتبر تقرير الفرنسي "أنتونان غوغير" المدون بتاريخ 12 سبتمبر 1899 م من بين الوثائق الأرشيفية المهمة المحفوظة اليوم بالأرشيف الدبلوماسي لوزارة الخارجية الفرنسية بباريس (لاكورناف) لما تتضمنه من معلومات تاريخية تخص منطقة الخليج عامة وعمان خاصة. هذه الوثيقة عبارة عن ملف مقترح لمشروع شركة تستغل المنطقة الممتدة على طول 300 كيلومتر، من (السيب - Sib) إلى (خور فكان - Khou-Faccan)، لما تتوفر عليه هذه المنطقة من مؤهلات طبيعية وبشرية، واقتصادية تسمح بتحقيق عدة مشاريع استثمارية تحقق من ورائها عوائد مالية تعود بالربح على الشركة، والحكومة الفرنسية، مثل إنجاز خط السكة الحديدية، والميناء، وتنظيم الحركة التجارية بالمنطقة. ويركز صاحب الوثيقة على ضرورة استغلال الظروف الداخلية والخارجية في ظل نفور السلطان فيصل بن تركي من بريطانيا لما تسببت فيه من مشاكل بعمان، والصدقة التي تجمع السلطان مع نائب القنصل "أوتافي" من أجل كسب منطقة نفوذ بعمان تُنافس فيها بريطانيا.

* بن عبد المومن محمد، جامعة أحمد بن بلة، وهران 1/ الجزائر

الكلمات المفتاحية: الخليج العربي؛ عُمان؛ مسقط؛ فيصل بن تركي؛ أوتافي؛ أنتونان غوغوير؛
أرشيف؛ دبلوماسي.

Abstract : The report of the French "Antonin Goguyer", written on september 12, 1899 AD, is among the important archive documents preserved today in the diplomatic archive of the French Ministry of Foreign Affairs in Paris (La Courneuve), because it contains historical information concerning the Gulf region in general and Oman in particular. This document is a proposed file for a project for a company that exploits the area extending along 300 kilometers, from Sib to Khour-Faccan, because of the natural, human and economic qualifications that allow the realization of several investment projects that achieve financial returns that yield profit to the company and the French government, Such as the completion of the railway, the port, and the regulation of commercial traffic.

The author of the document focuses on exploiting the internal and external conditions in light of Sultan Faisal bin Turki's alienation from Britain for the problems it caused in Oman, and the exploitation of the Sultan's closeness to France and his friendship with the Deputy Consul "Ottavi ", to gain France as a sphere of influence in Oman, in which Britain will compete.

Keywords: The Arabian Gulf ; Oman ; Muscat ; Faisal bin Turki ; Antonin Goguyer . Archive. Diplomatie.

مقدمة:

تضم مراكز الأرشيف الفرنسية كمّا هائلا من الوثائق المهمة، والتي تتضمن معلومات عن حوادث تاريخية لمختلف مناطق العالم، ومركز الأرشيف الدبلوماسي لوزارة الخارجية الفرنسية "لاكورناف" بباريس يعتبر من بين مراكز الأرشيف الدبلوماسي (انظر التعليق رقم 1) الذي يضم مراسلات البعثات الدبلوماسية الفرنسية لوزارة خارجيتهم أثناء العصر الحديث، والذي انتقينا منه الوثيقة الارشيفية موضوع دراستنا بالرغم من إطلاعنا على مجموعة هائلة من الوثائق الورقية والمكروفلم الخاصة بالخليج العربي عامة. ويكمن سبب اختيارنا لهذه الوثيقة، تزويدها لنا بمادة ثرية تخص

بلاد عُمان والوضع الدولي بالخليج العربي مع نهاية القرن 19م، وما جذبي إليها أكثر هو دهاء صاحبها الذي اختار المكان والزمان - اللذان سنتطرق لهما لاحقا - لكتابتها، وترغيب مُتلقيها (الحكومة الفرنسية) من اجل قبول ما اقترحه، كأنه يقدم لهم طبقا من ذهب يجب استغلاله، لوضع قدم بالمنطقة لطالما تربعت عليها بريطانيا لوحدها.

تعد وثيقة الفرنسي "أونتونان غوغير" الذي كتبها بالمنامة (البحرين) والمؤرخة بتاريخ 12 ديسمبر 1899م، والمحفوطة اليوم بمركز الأرشيف الدبلوماسي لوزارة الخارجية الفرنسية بباريس (لاكورناف) (ينظر الملحق رقم 1) من بين عديد الوثائق الأرشيفية المهمة لتاريخ منطقة الخليج عامة وعُمان خاصة. هذه الوثيقة هي عبارة عن ملف مشروع مالي واقتصادي وتجاري للاستثمار بشمال غرب عُمان، تقدّم به (أونتونان غوغير) (أنظر الملحق رقم 2) لقنصل بلاده بمسقط من أجل عرضه على الحكومة الفرنسية لغرض التموين المالي له، وتضمّن محتواها كل المؤهلات الطبيعية والاقتصادية والبشرية التي تزخر بها منطقة الاستثمار المقترحة أثناء تلك الفترة، لغرض ترغيب وكسب موافقة الحكومة الفرنسية للاستثمار بعُمان، ولمنافسة بريطانيا بالمنطقة، خاصة وأنّ جغرافية عُمان تتميز بموقع استراتيجي يطل على مسطحات مائية منها بحر العرب، وبحر عُمان، والمحيط الهندي، والخليج العربي، التي كانت من بين مصادر ازدهار القوى الأجنبية في العصر الحديث مثل البرتغال، وبريطانيا، ناهيك عن ثرواتها الاقتصادية خاصة (الزراعية، والمعدنية) التي تزخر بها أراضيها.

ولتوضيح أكثر سنحاول في البداية التعريف بصاحب الوثيقة "أونتونان غوغير" وما هي الظروف التي دفعت به لعرض مشروعه في هذا الوقت بالذات على حكومته الفرنسية؟ وما هي العناصر الداعمة التي قدمها في تقريره لترغيب بلاده للاستغلال بهذه المنطقة بالذات؟ وما هي الغايات التي كان يسعى لتحقيقها من وراء هذا المشروع؟ لنخلص إلى النتائج المترتبة عن تقريره.

يكمن الهدف من هذه النوع من الدراسات في استغلال المادة الأرشيفية التي تزخر بها العديد من دور ومراكز الأرشيف بأوروبا عن الخليج العربي، واعتمادها كمظان في الكتابة التاريخية، والكشف عن واحد من الأساليب الاستعمارية الحديثة لاستغلال ثروات الشعوب، وطرق الولوج إليها تحت غطاء الشركات الأجنبية التي غالبا ما كانت

الأرضية للتدخلات العسكرية فيما بعد في العديد من المناطق، والكشف كذلك عن النموذج الفرنسي بعمان الذي أراد تحقيقه "أنتونان غوغير" كاستعمار اقتصادي لاستنزاف ثرواتها، والتحكم في تجارتها، مستغلا أوضاعها الداخلية المضطربة، وامتعاظ السلطان من قيود بريطانيا عليه.

وعوّلت في هذا البحث أن أضيف للوثيقة الأرشيفية التي هي محور الدراسة، والموسومة: "الاستغلال المالي والتجاري والصناعي بشمال غرب عمان"، ودراسات تاريخية حديثة من أجل الوقوف على الحقائق التاريخية المرتبطة بموضوع بحثنا. ولتحقيق أهداف هذه الدراسة استعنت بالمنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل في رصد تفاصيل المعلومات الواردة ضمن الوثيقة، ولم أغفل المنهج المقارن عند الضرورة لأجل مقابلة ما تمّ تداوله من معلومات تطرق إليها "أنتونان غوغير" مع مجموعة من الوثائق والدراسات، والتي بواسطتها استطعت الكشف عن الأهداف الخفية لهذا المشروع، وما سياترّب عنه من نتائج بالنسبة لفرنسا بالمنطقة.

من أساسيات هذا النوع من الدراسة، يجب التعريف بصاحب الوثيقة، والمحيط الذي كان يشغل به، لمعرفة نواياه من وراء اقتراحه لهذا المشروع، لأنه لم يكن بالرجل العادي، فكان المستشرق، والأديب، والصحفي، والمغامر، ومهزّب الأسلحة. الذي يتأقلم مع الظروف التي صادفته أثناء ترحاله مثلما سنتطرق الى ذلك لاحقا، والبحث عن مصالحة الشخصية بالدرجة الأولى.

1/ من هو "أنتونان غوغير"؟

كتب اسمه في المصادر الحديثة بأكثر من رسم مثل "غوغيه"، و"غوفي"، و"غوغيه"، و"جوجيه"، و"كوكي" (عبد الله يوسف الغنيم، 2007: 32)، ويعتبر من المستشرقين الفرنسيين الذين يكتبون ويترجمون من وإلى العربية، ليتحول فيما بعد إلى مغامر، ومحرّض وبائع أسلحة، هو من مواليد "دون لو بالستال" Dun le palestel بتاريخ 19 أبريل 1846م بفرنسا، ومات بمسقط (عمان) يوم 19 أكتوبر 1909م.

كان مترجما في المحاكم التونسية، وكتابا صحفيا في الصحف العربية والفرنسية المعارضة للسياسة الفرنسية الاستعمارية، فاضطرت إلى إبعاده من تونس، فانتقل إلى الصومال ثم إثيوبيا (انظر التعليق رقم 2)، وكان يمؤّن سكانها بالسلح لمواجهة

البريطانيين، فسُجن ثم رُحل من هذه البلاد، لينقل نشاطه بعد ذلك إلى البحرين بالخليج العربي، والتي جاء إليها بصفته وكيلا لشركة مجوهرات فرنسية، وكان ذلك غطاء لمهّمتين: تجارة الأسلحة، وعميلا لفرنسا بالمنطقة، واستطاع أن يربط علاقة مع "الشيخ مبارك الصباح"، الذي استضافه بالكويت سنة 1904م، ويُذكر أنه قد دخلها متنكرا في هيئة رجل عربي، وأطلق على نفسه اسم "عبد الله المغربي" (عبد الله يوسف غنم، 2007: 33-34)، ثم انتقل إلى مسقط وحظي بترحاب لدى سلطانها تركي بن سعيد 1871-1888م، وتمكّن من جمع ثروة قدّرت بنحو بأربعين ألف جنيه إسترليني، وعند موته عثر في مستودعه على 100 ألف قطعة سلاح من مختلف الأشكال، وما لا يقل عن 10 ملايين قطعة من الذخائر (عبد الله يوسف غنم، 2007: 34).

اعتبر "أونتونان غوغير" من بين الشخصيات المؤثرة والهامة في العلاقات الفرنسية العمانية، وكان مدعما من الجانب الاستعماري، وأراد أن يجعل من بلاد عُمان والمحيط الهندي محمية فرنسية (Guillemette Crouzet, 2015: 9)، واتصفت رحلاته بالنزاعات والمضايقات (Journal La dépêche tunisienne, 24 aout : 1897)، ومقابل ذلك، نجد ضمن سجله أعمالا أدبية تمثلت في الترجمة من العربية إلى الفرنسية لمؤلفات منها كتاب: "ألفية ابن مالك، ومعه لامية الأفعال ومسرد عربي فرنسي بالمصطلحات النحوية" الذي ترجم إلى الفرنسية نذكرها:

"La Alfyyah d'Ibnu-Malik suivie de la Lâmiyyah et un lexique arabe-français des termes techniques", وترجمة أخرى من العربية إلى الفرنسية سنة 1887م لكتاب: "قطر الندى وبل الصدى" لصاحبه "ابن هشام" (Ibn Hišām, 1887)، تحت عنوان جديد باللغة الفرنسية: "étanchement de La Pluie de rosée: la soif, traité de flexion et syntaxe", كما تناول في كتاباته عدة موضوعات منها: "Le servage dans le sahara tunisien" الذي تطرق فيه للعبودية بالصحراء التونسية (A. Goguyer, 1895 « 308-318 »)، وكتاب آخر بعنوان: "La Mosquée à Paris", تحدث فيه عن مسجد بباريس.

(Ministère des affaires étrangère La Courneuve, (= MAE, Série D,) 1899 (Carton 16, Dossier1, Mascate : 1899).

2/التعريف بالوثيقة الأرشيفية:

تعود وثيقة "أنتونان غوغيير" المدونة بتاريخ 12 ديسمبر 1899م بالمنامة (البحرين) إلى زمن حكم السلطان "فيصل بن تركي بن سعيد" (1888-1913م)، والمحفوظة اليوم بمركز أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بباريس (لاكورناف) داخل العلبة رقم 16، ملف رقم 1، لسنة 1899 (أنظر الملحق رقم 3 و4)، وهي ضمن مجموعة الوثائق الأرشيفية المهمة لتاريخ عُمان الحديث. تضمنت معلومات جيوفيزيائية، واقتصادية وبشرية عن منطقة الاستثمار التي يركز عليها مشروعه الاستثماري المقترح، الواقعة شمال غرب عُمان بين منطقة (السَّيب) إلى (خور فكان)، تقدّم به للقنصل الفرنسي بمسقط من أجل عرضه على حكومة بلاده، وتضمّنت الوثيقة مختلف المقومات التي تزخر بها منطقة الاستثمار بعُمان، لترغيب وكسب موافقة حكومة بلاده للموافقة على مشروعه.

استهلّ تقريره بعنوان: Exploitation financière, commerciale et industrielle de l'Oman nord- occidentale، الذي ترجمناه على النحو التالي: "الاستغلال المالي والتجاري والصناعي بشمال غرب عُمان"، تلتها اثني عشرة صفحة مكتوبة باللغة الفرنسية على وجه واحد وبخط اليد، وبالحبر الأسود، إلى جانب خريطة جغرافية للمنطقة (أنظر الملحق رقم 5).

وقبل الخوض في تفاصيل الوثيقة، يجب الوقوف عند مختلف الظروف التي دفعته لترغيب بلاده على الاستثمار بمنطقة عُمان، واختياره لهذا الوقت بالذات، خاصة وأنه من الضالعين في معرفة مختلف التطورات والتنافس بين الدول الكبرى بمختلف مناطق العالم، وسبق أن شارك في العديد من النزاعات مثلما ذكرناه سابقاً، خاصة وأنه من أكبر مهربي الأسلحة بالمنطقة أثناء تلك الفترة، ولا يمكن الإجابة عن ذلك دون ربط الإطار المكاني الذي يضم منطقة الاستغلال بالتحويلات السياسية الداخلية التي عرفتها عُمان، وبالظروف الخارجية التي كان يشهدها العالم والخليج العربي بالذات، منه الوضع السياسي في عهد السلطان فيصل بن تركي، والتنافس بين القوى الكبرى وبالأخص فرنسا وبريطانيا للحصول على مناطق النفوذ والمجال الحيوي، ومسألة تجارة الأسلحة بعُمان. وبالرغم من كل هذه الأحداث الداخلية والخارجية الغير مستقرة

بالمنطقة، التمسنا من مضمون الوثيقة ثقة الرجل بنفسه، وإحاطته بمختلف التغييرات التي شهدتها منطقة الخليج في ظل التنافس مع بريطانيا، وذكره للمكتسبات التي سيحققها مشروعه وهذا ما سنعالجه ضمن هذا البحث.

3/ الأوضاع العامة بعُمان زمن الوثيقة (1899):

بعد وصول السلطان فيصل بن تركي بن سعيد للحكم بعُمان سنة 1888م، بدأت ملامح التغيير تطفو في العلاقات مع بريطانيا، وظهور رغبة السلطان الجديد في التحرر من سياسة الهيمنة التي فرضتها بالمنطقة عن طريق معاهداتها المجحفة، منها معاهدة صداقة وملاحة وتجارة التي وُقعت بتاريخ 19 مارس 1891م (جاد طه محمد، 1981: 135).

بدأت سياسة السلطان العُماني بالتقرب من فرنسا (الحسيني فاضل محمد، 2002: 136) المنافس التقليدي للإنجليز، من خلال السماح لهم بافتتاح ممثلية قنصلية بمسقط سنة 1894م، والموافقة على تعيين السيد "أوتافي - Ottavi" (ج. ج. لوريمر، 1977: 847) كنائب قنصل، ليُرَقَّى إلى قنصل عام سنة 1900م، ولم تتوقف سياسة التقارب هذه عند الجانب السياسي فقط، بل توسعت لتشمل الجوانب الاقتصادية، وحصولهم على امتياز إنشاء مستودع للفحم بمنطقة (بندر الجصة) سنة 1898م. (A Travers Le Monde, 7Aout: 1899)، ليتراجع السلطان عن هذا الامتياز بعد ضغط بريطانيا عليه تحت غطاء الملحق المرفق باتفاقية 1891م التي تنص على ضرورة استشارة سلطان عُمان لبريطانيا قبل التنازل عن أي جزء من أرض أو ممتلكات عُمانية.

لم يتوقف الضغط البريطاني على السلطان العُماني عند هذا الحد، بل استمرّ ليشمل ما اصطلح عليه بأزمة الأعلام الفرنسية التي كانت ترفع على السفن العمانية للتملص من المراقبة والتفتيش البريطاني، حيث ازداد نشاط تجارة السلاح بعد وصول "أنتونان غوغير" لعُمان سنة 1899م، فلم تستطع بريطانيا التدخل في هذه التجارة بحكم أن السفن الناقلة كانت ترفع العلم الفرنسي، ولم تكن عُمان معنية بمرسوم مؤتمر بروكسل عام 1890م الخاص بتجارة الأسلحة، لذلك كان سهلاً تهريبها عن طريق هذه السفن، الأمر الذي دفع بريطانيا بأن تطالب السلطان فيصل بن تركي بضرورة

الحد من هذه التصرفات تحت طائلة توقيف الدعم المالي الموجه له، وبالرغم من استجابته للطلب البريطاني، واجتماعه بملاك السفن بمدينة صور العُمانية، إلا إن الأغلبية لم تستجب لطلبه، وانتهت الأزمة بعرض المسألة على محكمة العدل الدولية بلاهاي الهولندية (الحسيني فاضل محمد، 2002: 136).

ومن سياسة الضغط البريطاني على السلطان "فيصل بن تركي" تعمدتها التأخير للإعلان عن اعترافها بسلطته على عُمان بسنتين. ولم يكن ذلك سوى مناورة لمساومته، ولعرقلة مشروعه الذي حاول فيه الاستقلال عن الضغوطات والمعاهدات البريطانية التي قيّدت بها أسلافه، ودفعه لعقد مزيد من المعاهدات.

هذا، وتميزت مرحلة حكمه بانعدام الأمن والاستقرار، في ظل معارضة القبائل وحتى من أخيه عبد العزيز بن سعيد، والسلطان المعزول "سالم بن ثويني" 1866 - 1868 م لسياسته، وعدم تدخله في حل نزاعات القبائل، وفشله في بسط نفوذه على المناطق الداخلية، على والقضاء الصراعات القبلية من بينها: تلك التي اندلعت سنة 1888 م بين القبائل "الغافرية"، و"المياحة"، و"العبريين"، والخلاف بين فرعين من قبيلة "الحواسنة" بصُحار (عُمان) سنة 1891 م، وحادثه (وادي السمائل) بعد غلق قبائل "الغافرية" للطريق المؤدي لمسقط عن "الهناوية" سنة 1892 م، واندلاع ثورة الشيخ "صالح بن علي الحارثي" سنة 1895 م، هذه الأخيرة التي شاركت فيها عدة قبائل "هناوية" منها (الحرث، الحبوس، آل بورشيد، الزكاونة، بني بطاش، العوامر، بني رواحة، بني نعمان، الفوارس، الشروج، الرحبيون، وغيرهم من الهناويين) ضد السلطان "فيصل بن تركي" الذي ساندته القبائل "الغافرية" منهم: (بني جابر، بني بوعلي، بني راسب، بني هشم، النعيم، الحجريون، باستثناء بني بوحسن) (ج.ج. لورمر، 1977: 763-769).

وفي ظلّ هذه الأحداث المضطربة، اهتمت بريطانيا عن طريق وكلائها بحماية مصالحها برسو سفن حربية بميناء مسقط، فأصبحت المدينة تحت رحمة القصف المدفعي، وفي هذه الأثناء قام أتباع السلطان من قبائل "بني بوعلي، وراسب" بنهب ممتلكات التجار الهنود، مما دفع بالوكيل السياسي البريطاني السيد "لورانس" إلى تحذير شيوخ القبائل بحرق سفنهم التي قدموا بها من ميناء صور. لتتوالى اقتراحات عزل

السلطان من قبل القبائل المعارضة لحكم السلطان. وأمام استمرار الشغب بمسقط اضطر السلطان لعقد صلح مع الثوار يوم 9 مارس 1895 م على أن يدفع لهم 12 ألف روبية، وأن يعمل السلطان على إزالة أسباب الثورة، كما حملته الحكومة البريطانية على دفع 12739 دولارا كتعويض لرعاياها من التجار والذين خربت ممتلكاتهم، وإلزامه الاعتراف بالمسؤولية، وتعهده بدفع 1000 دولار شهريا (MAE , Série D, Carton 16, Dossier1, Mascate : 1899).

وأمام هذا الوضع الداخلي المشحون، والاضغوطات البريطانية، كانت فرنسا تراقب الوضع، واستطاع نائب قنصليتها السيد " أوتافي " التقرب من السلطان، وكسب وده وثقته، وخلال زيارته له بتاريخ 4 فبراير 1894 م، الذي أبدى له امتعاضه من سياسة بريطانيا، وكشف له عن معاهدة 1891 م التي وقّعها مكرها، ولم تترك له من خلالها حرية التصرف في بلاده، الأمر الذي استغلّه نائب القنصل الفرنسي بمراسلة حكومته، وإرساله تقارير قدّم ضمنها تفاصيل عن الوضع السياسي في عُمان والخليج العربي، وسياسة بريطانيا في عُمان، وتحكمها في الطّرق البحرية المؤدية للهند، طالبا حكومته بضرورة الاهتمام بالمنطقة للحفاظ على مصالحها (MAE , Série D, Carton 16, Dossier1, Mascate : 1899).

إنّ انتفاضة القبائل، والاضغوطات البريطانية على السلطان، إضافة للديون التي فرضت عليه، سهّل من مأمورية السيد " أوتافي " للتقرب أكثر من سلطان عُمان، ونفس الظروف التي استغلّها " أنتونان غوغير " لعرض مشروعه - موضوع دراستنا - على الحكومة الفرنسية لتمكينها من الحصول على مجال حيوي جديد، ومنافسة بريطانيا بالمنطقة، ولمراقبة الطرق البحرية المؤدية لمناطق آسيا (الهند والصين).

4. عرض مضمون الوثيقة:

مثلما تطرقنا إليه سالفا، تضمّن المشروع الفرنسي عرضا للمقومات الطبيعية، والبشرية، والاقتصادية لمنطقة الانتفاع، ولأهمية الموقع بمنطقة الخليج العربي من أجل الإغراء، وبالتالي موافقة حكومته على التّموين المالي لمشروعه، والذي نصّفته ضمن مشاريع المجال الحيوي الذي كانت تسعى إلى الحصول عليه القوى الاستعمارية الكبرى

في العصر الحديث. تضمن عرضه مجموعة من المقومات المتنوعة التي وقف عندها أثناء ممارسته لنشاطه المفضل المتمثل في تجارة الأسلحة، ومن جملة هذه المقومات نجد:

1-4/ العرض الجيوفيزيائي لمنطقة الاستغلال:

بدأ تقريره بتحديد منطقة الاستغلال التي تقع بين منطقة (السيب) (انظر التعليق رقم 3) ، و(خور فكان) عند الحدود الشمالية لعمان، على طول 300 كلم، التي تضم منطقة سهل (الباطنة) المحاذي للساحل (انظر التعليق 4)، وخلفه منطقة جبلية معروفة باسم (الجبل الأخضر)، ويذكر أنّ هذا السهل يصلح للزراعة الكثيفة، وتنتشر به أشجار النخيل، وتوجد خلفه أراض مسقية على طول كيلومترات عديدة، تتخللها وديان. كما لم يغفل الإشادة بتنوع المناخ بمنطقة الاستغلال، ويبين أنّ المرتفعات الجبلية التي يتراوح ارتفاعها ما بين 1500 و2000 متراً تشهد سقوط الثلوج، ويؤكد على توفر شروط مناخية لطيفة بالمنطقة، وأن أقساماً من الأراضي الخصبة هي متاحة للاستيطان البشري والاستغلال الزراعي. ولم يخف ارتفاع درجات الحرارة بمناطق من عُمان (1899: Mascate, Dossier1, Carton 16, Série D, MAE).

2-4/ أهمية انجاز الميناء:

يشير في تقريره لوصف ميناء مسقط (MAE, Série D, Carton 16, 1899: Mascate, Dossier1) ونشاطه التجاري، ويستشف من خلال الوثيقة وطبيعة مشروعه أنه لا يعوّل على هذا الميناء، لأنه صغير، وأعماقه كبيرة تعيق بناء رصيف لحمايته، ويقع في منطقة وعرة جداً، ولا يمكن الوصول إليه عبر الأراضي المحيطة به، ويضيف أن استغلاله في السابق اكسب مستعمليه ثروة لم تُعد موجودة اليوم مستشهداً بتقرير القنصل الفرنسي بمسقط المحفوظ بالمكتب الوطني للتجارة الخارجية بباريس الذي ذكر فيه أنّ متوسط إجمالي الواردات ما بين 1896-1897م قد بلغت 5 ملايين (تالير) (انظر التعليق رقم 6)، ليتحوّل منذ فترة طويلة كأفضل أعشاش القراصنة، ويضيف أن هذا الميناء هو بعيد عن الطرق البحرية الحالية، وعن الجزء الخصب من الأراضي السابق ذكرها، وكأنه يلمح لضرورة استغلال ميناء آخر يكون ضمن شريط مشروع الاستغلال.

ثم ينتقل للإشادة بمراسي منطقة الاستغلال الموجودة على طول الساحل، منها (خور فكان)، الذي هو مرسى طبيعي رائع وعميق جدا، ومحمي بشكل جيد، مع توفر محيطه على مياه عذبة وفيرة. وهو يتواجد عند المدخل الجنوبي لمضيق هرمز، ولا يمكن الاستغناء عنه كقاعدة أفضل للعمليات التجارية، لأنه كلما اتجهنا جنوبا نبتعد عن الطرق البحرية، وليس هناك مرسى واحد بإمكانه استقبال السفن البخارية ذات المسافات الطويلة. ويضيف في تقريره عدم انتظام نشاط الملاحة على طول هذه الشواطئ، جعل القادمين من أوروبا أو ما وراءها يفضلون أن توجه حمولاتهم إلى مسقط، حتى على حساب دفعهم الرسوم الجمركية الإضافية.

كما يبين صاحب التقرير روح التفاؤل وأمله في أن تقوم الحكومة الفرنسية بتجهيز ميناء عند مدخل (مضيق هرمز)، وتدعيم شركات الملاحة التي من شأنها أن تخدم موانئ جديدة بما في ذلك مومباي وجيبوتي، ناهيك عن العلاقات الطويلة الأمد مع (الخليج الفارسي)، وزنجبار والبحر الأحمر.

3-4/ اليد العاملة العُمانية:

لم يغفل "أنتونان غوغير" عن إعطاء معلومات حول سكان عُمان، بقوله انه بالرغم من فقر أرضها عموما من الموارد الطبيعية، وإلا أنّ شعبها محارب، واستطاع العمانيون استغلال ولفترة طويلة أراضي مناطق الساحل الفارسي، وسواحل أفريقيا الاستوائية، ويذكر أنهم لا يدفعون الضرائب، ويقترح على ضرورة النهوض بالمنطقة، ويشيد أن من السكان من عادوا بالفعل لاستغلال أرض الأجداد (MAE, Série D, 1899: Carton 16, Dossier1, Mascate). فأشاد بخبرتهم في ركوب البحر واستغلاله في الصيد والتجارة البحرية، إلى جانب طبيعة اقتصادهم القائم على الزراعة، مما يبين أنه لم يهمل الطاقة البشرية كيد عاملة طيبة لاستغلالها في قيام المشروع.

4-4/ مشروع السكة الحديدية:

نستشف من مضمون الوثيقة، اقتراح التوغل حول المناطق الداخلية لاستغلالها مباشرة، والتي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق انجاز سكة حديدية، التي

ستكون الأداة الرئيسة لاستغلال البلاد، سيمتد هذا الخط الحديدي على طول شريط أراضي الزراعة الكثيفة المكتظة بالسكان على طول حوالي 300 كم. ويضيف أنه بإمكان اليد العاملة في البستنة انجاز المدرجات الزراعية (أنظر التعليق رقم 5) على طول هذا الشريط الذي يمر عبره الخط الحديدي، ثم يعرض فكرة الاستعانة باليد العاملة الفنية من الهند لإنجازه وبنفس أجرة العمال الأوروبيين، وبين شروط تحقيقه خاصة وأن مساره قريب من البحر، وتسهل عمليات نقل المعدات، لينتقل لإعطاء المواصفات التقنية لهذه السكة الحديدية، فيذكر أن عرضها سيبلغ نصف المتر، والتكلفة الكلية للكيلومتر الواحد لا تتجاوز 50 ألف فرنك فرنسي، لذلك يحتاج لرأسمال قدره 150 مليون فرنك فرنسي. لكن ذلك لم يمنعه من احتمال معارضة انجاز هذا الخط بحجة الاكتفاء باستقبال السفن البخارية الصغيرة الناقلة للبضائع التي لا تكلف أموالا، والوضع الأمني الذي لا يسمح بالإنجاز (MAE , Série D, Carton 16, Dossier1, Mascate : 1899)

4-5/ الإشارة إلى كيفية الاستفادة من مناطق العبور المجاورة لمحيط المشروع:
لم يغفل "أنتونان غوغير" في تقريره عن قسم الساحل الغربي لشبه جزيرة رؤوس الجبل، الذي يمتد إلى شبه جزيرة قطر فضلا عن واحة الأحساء، ويذكر في هذا الشأن ضمن تقريره بأن معلوماته الشخصية تشير إلى تصدير منتج التمور الذي يجلب من الأرباح أكثر من 12 مليون فرنك فرنسي، دون الإشارة لمنتوج 75,000 طن التي تصدر من ميناء (عقير) (أنظر التعليق رقم 7) ، و(القطيف) القريبين من المنامة (البحرين)، واللذان يقعان ضمن طريق السفن البخارية البريدية التي تعبر المنطقة كل خمسة عشر يوما، ودون إضافة مداخيل منتج الأرز والبن بالمنطقة. ثم يذكر أنه يأمل بإنجاز ميناء على طول هذا الطريق البحري، مما سيكون له الأثر الإيجابي على العلاقات المباشرة مع مختلف العملاء، وسيسمح بتوسيع التعامل مع زبائن الشركة بشكل جيد خارج نطاقها الجغرافي، وأكثر من ذلك، سيصل التعامل والنشاط لأرخبيل (البحرين)، أو لعدد من موانئ المنطقة، الذي تصدر منها أكثر من 50000 طن سنويا من التمور (MAE , Série D, Carton 16, Dossier1, Mascate : 1899).

6-4/ توفير الشروط القانونية للمشروع:

لم يغفل " أنتونان غوغير " عن الشق القانوني للمشروع، الذي تضمن التزام الشركة الاستثمارية بالحفاظ على أمن الأراضي الممنوحة للاستغلال، مع تقديمه لحلول تضمن الأمن بأقل تكلفة. ووضح أن احتكار الشركة سيمارس بطريقتين، يكون احتكارا قانونيا، ليضمن للشركة حصريا الحق في بناء واستكشاف جميع خطوط السكك الحديدية، كما سيعطيها الحق الحصري في المساحلة للسفن البخارية على طول الساحل العُماني، واستغلال المناجم، والمحاجر، والغابات، وجميع المنتجات، بما في ذلك الاستخدام الصناعي لمنتجات الصيد البحري، مذكرا أنه في حالة الخلاف يلجأ الطرفان للتحكيم الفرنسي، مما سيمنح حق الامتياز للفرنسيين، ويؤكد في تقريره الاستفادة من أموال الذين لهم مصلحة في مشروع الشركة مثل المقاولين، والمزارعين بمساهمات مالية ثابتة.

7-4/ العوائد المالية المرتقبة من المشروع:

لم يهمل " أنتونان غوغير " العوائد المالية من المصادر الضريبية التي ستستفيد منها الشركة، كالصادرات والواردات التي تخضع لجمارك ميناء مسقط والنقاط البحرية التابعة له، بحكم انه المركز الجمركي الوحيد بالبلاد، والمحددة بتعريفة 5٪ للسلطان، و 5٪ تدفع تحت اسم مستحقات الميناء لصالح الشركة، اما البضائع العابرة فستكون معفاة من تعرفة 5% لصالح السلطان، مقابل دفع تعرفة جمركية للشركة بموافقة الحكومة الفرنسية. وإلى جانب ذلك يذكر في تقريره بأنه متيقن أن الجزء الأكبر من حركة المرور الحالية من ميناء مسقط سوف تتحول نحو ميناء الشركة المقترح، ويؤكد يقظة عناصر الشركة الذين لا يسمحون بنقل أي طن من البضائع دون إذن منها على طول ساحل المنطقة الممنوحة للاستثمار. ويقدم أرقاما مطمئنة للعائدات التي ستجنمها الشركة من مداخيل السكة الحديدية، والتعرفة الجمركية (MAE , Série D, Carton 1899: 16, Dossier1, Mascate).

8-4/ ضرورة مشاركة الدولة الفرنسية:

يبين في ختام تقريره، أن الدولة الفرنسية ستجد فرصة للحصول على مستعمرة مرهونة من طرف اثنين: العائلة الحاكمة في مسقط، والشركة الاستثمارية،

فالفُرصة مواتية لنجاح المفاوضات مع السلطان "فيصل بن تركي"، نظرا لعلاقته الجيدة مع فرنسا، ومع وكيلها السيد "أوتافي"، في ظل نفوره من بريطانيا وما تسببت فيه من مشاكل بعُمان.

ويأمل كذلك بأن تقوم الحكومة الفرنسية بتجهيز ميناء عند مدخل مضيق هرمز، وبالتالي تستطيع الدولة الفرنسية شرعيا تدعيم الشركة مباشرة، وتدعيم شركات الملاحة التي تفرضها مقابل إنشاء خطوط بحرية، التي من شأنها أن تخدم موانئ جديدة، بما في ذلك (مومباي) و(جيبوتي)، ناهيك عن العلاقات الطويلة الأمد مع (الخليج الفارسي)، وزنجبار والبحر الأحمر.

وخلص في تقريره أن حكومته لا تملك مناطق نفوذ بهذه المنطقة، وأن شركته ستضمن لفرنسا مزايا، خاتما تقريره بأن يكون مشروعه ضمن باقي أولويات ومشاريع الحكومة الفرنسية بقوله: "... فمن المأمول أن يتم الحكم على مشروع هذه الشركة مثل باقي المشاريع، وأن تحظى بفضل الدولة وثقة رؤوس الأموال".

خاتمة:

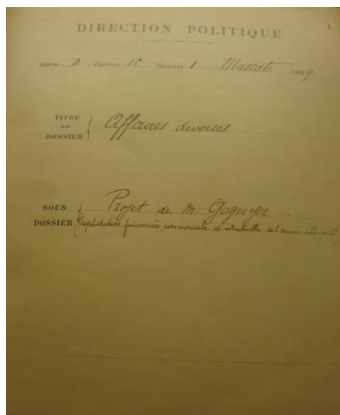
ما يستخلص من هذه الوثيقة الأرشيفية، أن صاحبها كان مصرا على المساعدة المالية لحكومة بلاده (فرنسا) لتدعيم مشروع شركته بأرض عُمان، ولمنافسة بريطانيا بالمنطقة، هذه الأخيرة التي انفردت في سيطرتها على الطرق التجارية البحرية، فقيّدت سلطانها بمعاهدات حدّت من حريته، وأشعلت نار الانتفاضة الداخلية بين القبائل ضده لمنع فرنسا من التواجد ببلادها. لذلك أصّر "أنتونان غوغير" على عرض مشروعه على الحكومة الفرنسية، والذي نعتبره مشروعا سياسيا سيسمح لفرنسا بالتواجد بعُمان، ومنافسة بريطانيا بالمنطقة. وكان على يقين أنها الفرصة الذهبية التي يجب استغلالها لبسط نفوذها. وفي غياب المعطيات لحدّ الساعة حول نتائج هذا التقرير، فلا يمكن لنا الوقوف على معلومات إضافية عنه، لكننا ندرجه ضمن السياسات الاستعمارية الفرنسية المتبعة لاستنزاف ثروات الشعوب بالعديد من المناطق في العالم، وبالأخص الوطن العربي.

التعليق:

- 1- يوجد مركز أرشيف دبلوماسي بمدينة (نانت - Nantes) بفرنسا.
- 2- رفض إمبراطورها "منليك الثاني - Menlik II" استقباله. ينظر: Journal la dépêche tunisienne, 24 aout 1897
- 3- هي اليوم ولاية تابعة لمحافظة مسقط بسلطنة عُمان.
- 4- أهم سهل زراعي ساحلي بسلطنة عُمان، يصل امتداده إلى نحو 270 كيلومترا.
- 5- تعتمد في ربيها على الأفلاج.
- 6- بمعدل سعر صرف يتراوح بين 15 (تالير - Thaler) للجنيه الإسترليني.
- 7- من أقدم الموانئ البحرية بالملكة العربية السعودية المطلة على الخليج العربي، ويبعد بنحو 66 كيلومترا عن مدينة الهفوف السعودية.

الملاحق:

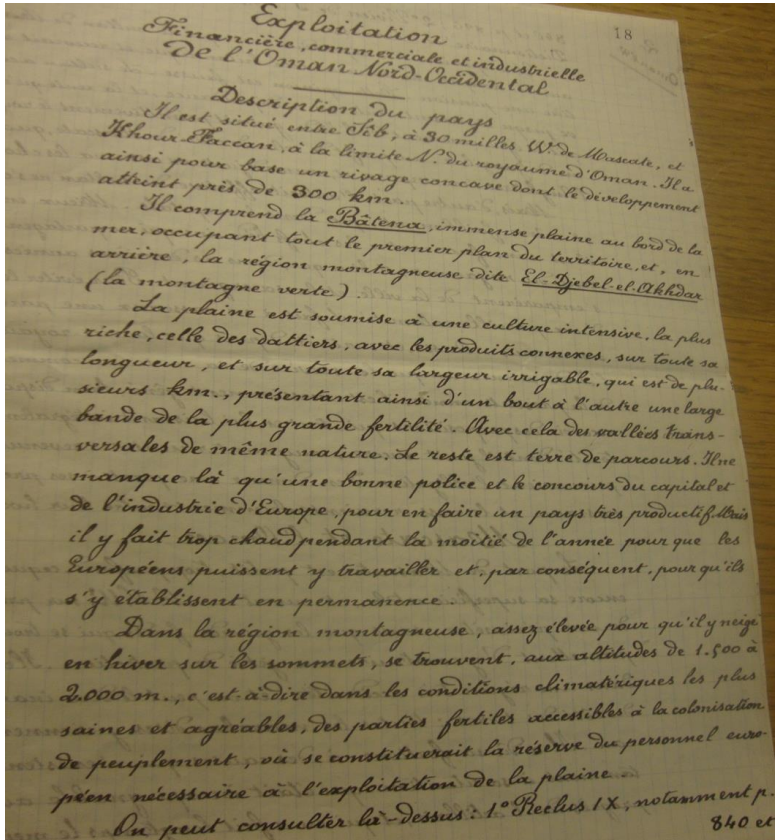
الملحق رقم 1: واجهة أرشيف ملف المشروع



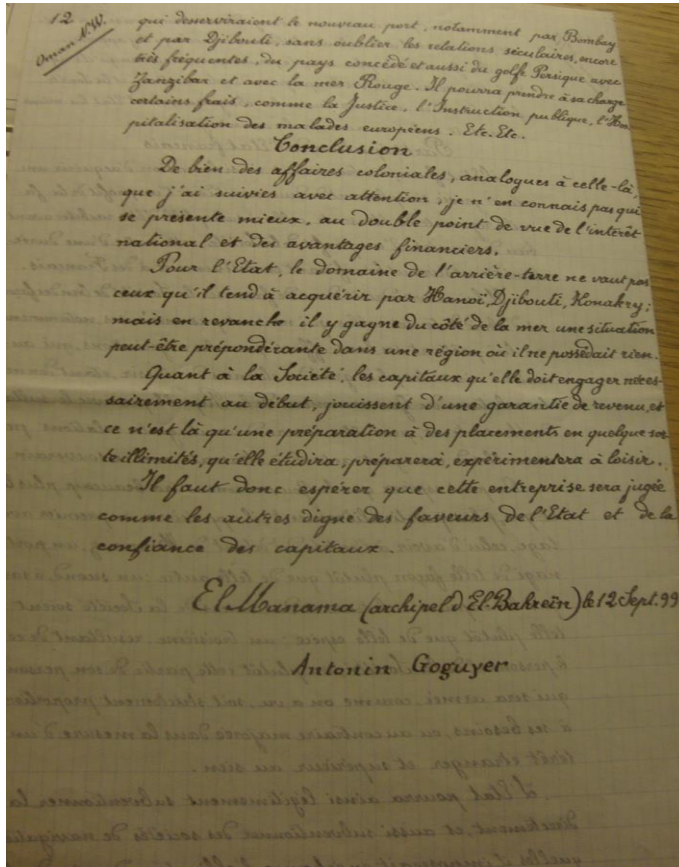
الملحق رقم 2: صورة "أنتونان غوغير"



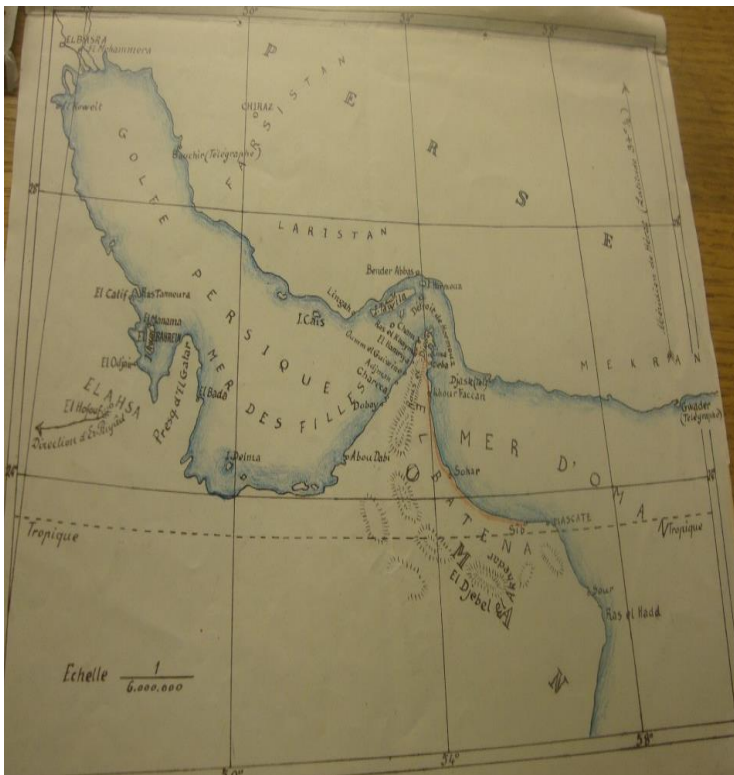
الملحق رقم 3: الصفحة الأولى من وثيقة المشروع



الملحق رقم 4 : الصفحة الأخيرة من وثيقة المشروع



الملحق رقم 5: الخريطة المرفقة بالمشروع



- المصادر والمراجع :

1- الأرشفة:

-Ministère des affaires extérieure La Courneuve (=MAE), Série D, Carton 16, Dossier1, Mascate (1899), Direction Politique, « Projet de M. Goguyer, Exploitation financière, commerciale, et industrielle de l'Oman nord- ouest ».

2. المراجع العربية والمقالات العربية :

- عبد الله يوسف الغنيم، (2007)، أخبار الكويت، رسائل علي بن غلوم رضا الوكيل لبريطانيا في الكويت 1899-1904، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت.
- جاد طه محمد، (1981)، "تجارة الأسلحة في مسقط قديما"، مجلة الدارة، الرياض، العدد الثاني، السنة السابعة، ص ص 207-183.
- ج. ج. لوريمر، (1977)، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء 2، ترجمة قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، الدوحة.
- الحسيني فاضل محمد، (2002)، "الصراع الفرنسي البريطاني حول تجارة الأسلحة في عُمان 1900-1914 م"، الوثيقة، المجلد 41، العدد، 21، ص ص 130-151.

3- المراجع الأجنبية:

- Antonin Goguyer,(1895), La Mosquée à Paris, imprimerie de Chaix .
- A. Goguyer,(1895), « Le servage dans le Sahara tunisien », Revue Tunisienne, 2, pp. 308-318.
- Guillemette Crouzet,(2015), Genèses du Moyen-Orient. Le Golfe Persique à l'âge des impérialismes (vers 1800-vers 1914) éd, Ceyzérieu, France.
- Ibn Hišām, ' Abd Allāh ibn Yūsuf ibn Aḥmad ibn ' Abd Allāh,(1887) , La Pluie de rosée étanchement de la soif, traité de flexion et syntaxe, Traduit par A. Goguyer, éd, Leyde : E. J. Brill.
- Journal ,(1899), «A Travers Le Monde » :7Aout .
- Journal,(1897), « La dépêche tunisienne » : 24 aout .